

زلات الفكر في نظر القرآن



- القرآن إذ يؤكد الاجتهاد في العقيدة يؤكد أيضاً على مظاهر الزلل في التفكير.

- الأهواء النفسية أو الأحكام المسبقة هي من قبيل الظن. - القرآن ينذر بمن يقبل أفكار السابقين دونما إخضاع للمقاييس العقلية. - عبادة الشخصيات من عوامل زلات الفكر. - القرآن يدعو إلى التفكير في الطبيعة والتاريخ والوجودان الإنساني.

زلات الفكر في نظر القرآن: القرآن الكريم، إذ يحثّ الفرد على التفكير ويمنح التفكير صفة عبادية ويؤكد على ضرورة الاجتهاد في الإيمان بأصول العقيدة، بهتم بمسألة أساسية في هذا الحقل ترتبط بزلات الفكر، فيؤكد على مظاهر الزلل، وأسبابه، وطرق الوقاية منه، نذكرها فيما يلي:

1- اتباع الظن: يقول القرآن الكريم: (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُهْدَىٰ لُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعَ بِعُونَ إِلَّا طَّافَنَ...) (الأنعام/ 116). ويؤكد على ضرورة الابتعاد عن اتخاذ أي موقف لا يقوم على أساس علم ويقين: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (الإسراء/ 36). وهذه حقيقة أصبحت ثابتة اليوم في الحقل الفلسفـي. واعتمـدها "ديكارـت" بعد ألف عام من نزول القرآن باعتبارـها الأساس المنطـقي الأول لفلسفـته فيقول: "لا أعتبر الشـيء حـقيقياً إلا إذا كان بـديهـياً" عندـي. واجتنـب التـسـع والرغبة الذـاتـية وسبـق الـذـهـنـ، ولا أـقـبل شـيـئـاً مما لم يـتـّـصـحـ بـحيـثـ لا يـبـقـيـ فـيـهـ أـيـ شـكـ وشـبـهـةـ".

2- الأهواء النـفـسـيةـ: إنـ أـرـادـ الإـنـسـانـ أـنـ تكونـ أـحـكـامـهـ صـحـيـحةـ، فـعـلـيـهـ أـنـ يكونـ مـحـابـاـ تـجـاهـ الـمـسـأـلـةـ الـتـيـ يـفـكـرـ فـيـهـ. أـيـ أـنـ يـسـعـيـ نـحـوـ اـكـتـشـافـ الـحـقـيـقـةـ وـيـسـلـمـ نـفـسـهـ لـلـأـدـلـةـ

والوثائق والمستندات. القاضي الذي يطالع ملف الاتهام ينبغي أن يكون محايداً تجاه طرفى الدعوى. ولو مال إلى أحد الطرفين، لا نجدب، لا شعرياً هو أدلة ذلك الطرف، ولأهمل أدلة الطرف الآخر، وهذا ما يؤدي إلى ابتعد القاضي عن الصواب. والإنسان كذلك، إن لم يحافظ على حياده في إصدار أحكامه على المسائل المختلفة، وانحرار إلى جانب معين، يتّجه مؤشر فكره لا شعورياً تجاه أهوائه النفسية، ومن هنا يعتبر القرآن الأهواء النفسية - تماماً مثل الظنّ - من عوامل الانحراف. يقول تعالى: (إِنَّمَا يَتَّقِيُّونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوِي الأَنْفُسُ) (النجم/ 23). 3- التسوع: كل حكم يصدر عن الإنسان بحاجة إلى مقدار معين من الوثائق والمستندات كي يكون ذلك الحكم صحيحاً بعيداً عن زلة الفكر وتسرّعه. القرآن الكريم يشير تكراراً إلى قلة الرصيد العلمي للإنسان، وعدم كفايته لإصدار بعض الأحكام الكبيرة، وينهى الإنسان عن الجزم في أمور لم يتثبت منها: كقوله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء/ 85). وعن الإمام الصادق (ع) قال: إنّ إِنْ خَرَّ عَبَادٌ بِآيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ: أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا، وَلَا يَرْدِدُوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا، قَالَ إِنْ عَزَّ وَجْلٌ: (أَلَمْ يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنَّ لَا يَقُولُوا عَلَى الدَّاهِ إِلَّا الْحَقُّ) (الأعراف/ 169). 4- روح التقليد والرجعيّة: الإنسان يميل - بادي الرأي - إلى تقبل الأفكار والعقائد الموروثة من الأجيال السابقة، دون تمحیص وتدقيق. والقرآن ينذر بأولئك الذين يقبلون أفكار الأجيال السابقة دون أن يخضعوها للمقاييس العقلية فيقول: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (البقرة/ 170). 5- عبادة الشخصيات: من عوامل زلات الفكر وانحرافه، الارتباط العاطفي الأعمى بالشخصيات الكبيرة التاريخية أو المعاصرة. هذه الشخصيات تغمر نفوس بعض الأفراد، وتأثر على أفكارهم وعزمهم وإرادتهم، بل يفقد هؤلاء الأفراد استقلالهم الفكري والإرادي وتصبح أفكارهم وإرادتهم مسخرة لأولئك الشخصيات. القرآن الكريم يدعو البشرية إلى الاستقلال الفكري، ويدين الاتّباع الأعمى للشخصيات، فينقل عن لسان مثل هذه الفئة الضالة قولها: (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَمَا أَضَلَّنَا وَنَّا السَّبِيلَا) (الأحزاب/ 67). - مصادر التفكير في الإسلام: القرآن الكريم، في دعوته إلى النظر والتفكير، يعرض - إضافة إلى عوامل زلات الفكر - مصادر التفكير، أي الموضوعات التي يليق بالإنسان أن يفكّر فيها ويتخذها مصادر لعلمه واطلاعاته. الإسلام يعارض بذل الجهد في المسائل العقيمة التي لا نتيجة لها سوى إرهاق العقل، وفي المسائل التي جدو فيها للإنسان، ولا طائل تحتها. الرسول الأكرم (ص) يستعيد بما من علم لا ينفع، بينما الإسلام يحث أشد الحث على تلقي العلوم المفيدة المتمرة المجدية. القرآن يطرح ثلاثة مواضيع

للتفكير النافع. 1- الطبيعة: القرآن شجع في آيات كثيرة على التفكير في الطبيعة، أي في الأرض والسماء والكواكب والشمس والقمر والسحب والمطر، والرياح، وحركة السفن، والزرع، والحيوانات.. وكل أمر محسوس يحيط بالإنسان، وحث على التأمل فيها والاستنتاج منها كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ طُورًا مَادًا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (يوسف/ 101). 2- التاريخ: القرآن يرى أن حركة التاريخ خاصة لقوانين وسنت ثابتة، وهذه السنن تحكم فيما يطرأ على المجتمعات البشرية من رقي وانحطاط ونجاح وفشل وسعادة وشقاء، على مر" التاريخ. وبالتعرف على هذه السنن يصبح بالإمكان السيطرة على مجرى التاريخ المعاصرة، ودفع الأحداث نحو سعادة الفرد والمجتمع. من هنا حث" القرآن على التفكير والنظر في تاريخ الأمم السالفة، واعتبر ذلك مصدراً من مصادر العلم، ك قوله تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُذَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَامَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (آل عمران/ 137). 3- الوجودان الإنساني: القرآن يذكر الوجودان الإنساني باعتباره أحد مصادر المعرفة الخاصة. العالم بأجمعه مليء بآيات إلهية وعلامات ومؤشرات من أجل كشف الحقيقة. القرآن يعبر عن العالم الخارجي للإنسان بكلمة "الآفاق" وعن العالم الداخلي للإنسان بكلمة "الأنفس" وبهذه الطريقة يؤكد على أهمية الوجودان الإنساني: (سَذُرْبِهِمْ أَيَّاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَرْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ الْحَقُّ) (فصلت/ 53). للفيلسوف الألماني "كان" جملة مشهورة محفورة على قبره يقول فيها: "ثمة شيئاً يثيران دهشة الإنسان: الأول السماء الملائكة بالكواكب فوق رؤوسنا، والثاني الوجودان والضمير في داخلنا". * مفكر إسلامي